الأهرام

خانه مطبوعات
مرکز مطالعات و تحقیقات اسلامی

٢٦ - ٢٧

الرافدين

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمّد سعيد الطريحي

ترسل جميع المراسلات والطلبات باسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

هولندا

الرقم المعياري للمجلة في المكتبة الملكيّة في لاهاي (هولندا)

ISSN 13842773

POST BUS 1113

3260 AC OUD - BEYERLAN

FAX : 0031 1866 16306

الاشتراك السنوي ١٠٠ دولار امريكي

Shiabooks.net

مقدمة حول الحركة التجديدية عند الشهيد الصدر (قدس سره)

▣ عز الدين سليم

تمهيد:

الحمد لله الذي منّ علينا بمحمد صلى الله عليه وآله دون الامم الماضية، والقرون السالفة، والصلاة والسلام على محمد أمين الله على وحيه، ونجيبه من خلقه وصفيه من عباده، امام الرحمة، وقائد الخير ومفتاح البركة وعلى آله الطيبين الطاهرين" ازمّة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق وشجرة النبوة، ومحط الرسالة، وبعد:

فان العالم الاسلامي قد واجه خلال قرنين من الزمان ثلاثة مستويات من الغزو؛ الغزو السياسي، الغزو العسكري والغزو الثقافي. واذا كان الغزو السياسي قد باشره جواسيس الغرب في بلاد المسلمين او عملاؤهم كالسلاطين والولاة والضباط، والسفراء والشركات التجارية، واذا كانت الحملات العسكرية قد اضطلعت بدور الاحتلال لبعض الثغور والاقاليم الاسلامية، فأن هذين اللونين من ألوان العدوان الغربي على بلادنا كانا يمهدان لغزو ثقافي واسع يُلغي الثقافة الاسلامية، بل والطابع الشرقي العام.

واذا قرأنا تاريخ المنطقة بتأمل بكل ماحوىٰ من آلام وفتن على مدار قرنين من الزمان او يزيد، لوجدنا ان أخطر ماواجهه المسلمون والشرقيون عموماً هو الغزو الثقافي الغربي لبلداننا، بيد أن التبشير والثقافة الغربية لم يحققا خطواتهما نحو النجاح الاّ عندما وجدا ولاة عملاء أيام الحكم العثماني مثلاً، من أمثال (ابراهيم باشا) في بلاد الشام حيث انطلق المبشرون في عملهم في تلك البلاد في ثلاثينات القرن التاسع عشر، وفي مصر أيام العميل الفرنسي (محمد علي باشا الكبير) ـ كما يسميه التاريخ ـ، كما لم ينتشر نفوذ الثقافة الغربية في بلاد المسلمين كذلك الاّ تحت رعاية الغزو العسكري كما جرىٰ ذلك في بلدان المسلمين التي سيطرت عليها الجيوش الغربية، كما هو الحال في بلاد

الشام، والجزائر وغيرها .. ولاننسىٰ دور الحكام العملاء في توفير المناخات المناسبة لدعم حركة التغريب في بلاد المسلمين.

وبحركة ثقافية واسعة تملك ارصدة واقعية ضخمة كالتبشير وحركة الاستشراق، والحركة التعليمية التابعة لأهداف الغزاة بكل مظاهرها ومصادرها ومواردها من المناهج الىٰ المادة التعليمية، ومن ثمَّ المدرس والمعلم الىٰ البعثات الدراسية الىٰ اوربا، .. أقول: بهذه الحركة التعليمية، المخططة الواسعة المدعومة بأنظمة سياسية مدججة بالسلاح ومدعومة من قوىٰ النفوذ العالمي، وقعت الهزيمة الفكرية والثقافية في بلاد المسلمين، وانتصر الغالب علىٰ المغلوب في ثقافته وأفكاره الى درجة خطيرة، خلافاً لما كان عليه المسلمون أيام الغزو المغولي المدمر لبلاد المسلمين، حيث ما إن توقف اندفاع المغول، حتىٰ انتصر المغلوب علىٰ الغالب، فاعتنقت جيوش التتار دين الحق، وخلعت وثنيتها لتدخل افواجاً في دين الله تعالىٰ وانصهر الغزاة في الامة الاسلامية، وساهموا في بناء الكيان العام للامة ...

الاّ اننا في هذه المرة أي في القرن الأخير هزمنا شر هزيمة، وبرزت آثار الهزيمة في ابناء جلدتنا واضحة اذ صار الكثيرون يدعون للذوبان في حضارة الرجل الابيض.

لقد ظهر في بلاد الاناضول (ضياء اليسع كوك) منظراً للذوبان والتبعية الثقافية، وظهر (كمال اتاتورك) منفذاً لأفكاره باصرار أهوج يشبه اصرار البعثيين وأمثالهم من أصحاب الهوس التقدمي الثوري! وظهر في مصر (سلامة موسىٰ)، و(قاسم أمين)، و(لطفي السيد)، و(طه حسين)، و(علي عبد الرازق)، وعلىٰ الصعيد السياسي ظهر دعاة القومية الذين كان (جمال عبد الناصر) عصارتهم، بل حصيلة افكار المهزومين والعملاء الفكريين الذين ذكرتُ بعضهم.

لقد حاول (طه حسين) أن يهز أركان الاعجاز القرآني بكتابه الشعر الجاهلي، ثم دعا صراحة لتغيير هوية مصر في مشروعه الثقافي اللاهث خلف الغرب (مستقبل الثقافة في مصر) وكان (عبد الرازق) قد شكك أن يكون في الاسلام نظام حكم وبذل جهداً من أجل تكريس هذا الاتجاه في كتابه (نظام الحكم في الاسلام)، وتناول آخرون جوانب اخرىٰ. وقد بلور (ساطع الحصري) البديل القومي للاسلام في ضوء ثقافته الغربية وتطلعاته شطر اوربا، وشهد العراق أمثال (منيف الرزاز) و(الياس فرح) و(عفلق) و(علي الوردي)،

و(هادي العلوي)، وأنيط تنفيذ المشروع الى (البكر) و(صدام) منذ نهاية الستينات الى اليوم.

وفي بلاد المسلمين الاخرىٰ امثلة حية لهذه المسيرة الذليلة الجبانة..

٢ ـ المسلمون في موقف الدفاع:

الحديث هنا يدور حول المواقف الثقافية لا المواقف السياسية ولا البطولات العسكرية للمسلمين...

لقد تنبه المسلمون رويداً رويداً الىٰ المؤامرة، فهبوا في وجه العدوان الثقافي، فحفروا الخنادق الدفاعية، وهكذا ظهرت مجموعة كبيرة من التآليف ونُشِرت كثير من الافكار الدفاعية الخجولة او المنفعلة بالواقع، لذا، فقد شهدت الاربعينات من هذا القرن والخمسينات نمطاً من الفكر الدفاعي علىٰ المستوىٰ العلمي او الفكري.

فقد ظهرت كتابات تفسر آيات من القرآن الكريم تفسيراً علمياً، طبق النظريات التي تتداولها ألسنة الغربيين أو تصوراتهم، كتفسير آيات في النظرية السديمية أو في الجاذبية او كروية الارض او نظرية لامارك او دارون، حتىٰ لوىٰ بعضٌ عنق الآيات، ففسروها بالصواريخ والذرة وما الىٰ ذلك، كل ذلك من أجل أن يبرهنوا أن الاسلام والقرآن قد حمل ماوصل اليهما العلم الحديث كذلك...[1].

وعلىٰ مستوىٰ الفكر والتشريع جرت عمليات مشابهة لكنها من نمط آخر، فقد ظهر الحديث علىٰ ألسنة المفكرين والكتاب المسلمين عن الاشتراكية الاسلامية، والديمقراطية في الاسلام، كما تأثر بعضٌ في احاديثهم عن الاسلام بتفصيلات تلك المذاهب الاجتماعية، ولك أن تقرأ مثلا كتاب: (اشتراكية الاسلام) للدكتور مصطفىٰ السباعي و(ديمقراطية القومية العربية) الدكتور عبد اللّه العربي، و(الاسلام بين الانصاف والجحود) الدكتور حسن عبد الغني حسن، و(المجتمع الاسلامي بين النظرية والتطبيق) للبهي الخولي، بل في علمائنا من ظهر علىٰ لسانه مصطلحات العروبة، والاشتراكية والديمقراطية وما الىٰ ذلك..

وهكذا كان اسلوب الدفاع لدىٰ المخلصين من أبناء الامة لعقدين من الزمان او اكثر يدفع الىٰ تكييف الاسلام وقيمه حسب الموجات العلمية والفكرية التي زخر بها العالم يومذاك، وربما أدىٰ ذلك التخبط المُدافِع الىٰ تقلبات في التفسير لموضوع واحد غير مرة في فترات متقاربة حسب الموجات الفكرية والموضة التي تعم البلاد[2].

٣ـ في خندق الهجوم:

ومنذ منتصف الخمسينات صار مسار الحركة الثقافية يتجه من خندق الدفاع الى خندق الهجوم. فقد ظهرت بوادر هذا التحول في أواخر الاربعينات وبداية الخمسينات في كتابات الشيخ (عبد الاعلى المودودي) في كتاب "الربا" و"الدستور الاسلامي"، وموجز "تجديد الدين واحيائه" وما الى ذلك، وتأثر بهذا المشروع قلم (سيد قطب)، فكتب "العدالة الاجتماعية" وموسوعة "في ظلال القرآن" و"خصائص التصور الاسلامي"، و"السلام العالمي والاسلام"، وختمها "بمعالم في الطريق"، وفي هذه المرحلة، اي في اوائل الخمسينات ظهر (الشيخ النبهاني)، في "المذهب الاقتصادي في الاسلام" و"نظام الحكم في الاسلام"، وغيرها. وظهر (الشيخ المطهري) في ايران. بيد ان ظهور هذه المؤلفات والابحاث قد رافقه في الجانب الآخر تصاعد الهجمة لأتباع الحضارة الاوربية بشطريها الشرقي والغربي، حيث انتشر الفكر الماركسي والاشتراكي والفكر الاشتراكي الديمقراطي، وثقافة اليسار العربي، والدعوة الى الديمقراطية وما الى ذلك بشكل خطير، حتى انك لاتكاد تجد في تلك المرحلة ولاتسمع غير نتاج هذه الموجة الفكرية العاتية.

ولقد كان العراق في الخمسينات ومطالع الستينات من أسوإ البلدان في المنطقة من ناحية فَقرِهِ للثقافة الاسلامية الحديثة التي تستجيب لطموحات المسلم المعاصر .. لقد كان الشباب في تلك المرحلة لايكاد يجد عن الاسلام غير الابحاث الحوزوية التخصصية ذات الاسلوب التقليدي غير المنسجم مع ذوق العصر، او الدراسات التاريخية التقليدية واذا وجد شيئاً، فأنه يجد بعض مؤلفات سيد قطب مثلاً، رغم قصورها عن الاستجابة للطموح بدرجة ما.

لقد أعلن المرحوم (الشيخ كاظم الحلفي) المشرف التنفيذي لمجلة الاضواء التي صدرت عام ١٩٦٠ م في كراس له اسمه "الله واسماؤه الحسنى" طبع في بداية الستينات، ان بعض شباب جامعة بغداد الشيعة يتأثرون بتآليف الشيخ النبهاني ككراس "الخلافة" سيئ الصيت، ولقد اعلن المرحوم آية الله (السيد محمد جمال الدين الهاشمي) في مقدمة كتابه "اصول الدين الاسلامي" عن عمق الصدمة التي ألمت بالاخيار من العلماء والمؤمنين حين فوجئوا ان المواكب الحسينية بعد ثورة تموز عام ١٩٥٨ م كانت تشيد بالديمقراطية والاشتراكية..

وكانت المشكلة الرئيسة التي تعانيها الامة، خصوصا الاجيال المتطلعة، في منهج عرض الاسلام وقيمه وأحكامه لافي المضمون، فمضمون الاسلام محفوظ في القرآن والسنة وتصانيف العلماء، ولكن المنهج الذي كان يعرض المضمون لايتناسب وروح العصر الحديث أبداً.

٤ـ السيد الصدر ضرورة المرحلة:

وفي هذه المرحلة العصيبة من تاريخنا وفي أواخر عقد الخمسينات وبداية الستينات على وجه التحديد، حيثُ النكوصُ والتراجعُ أمام الثقافة الوافدة، مما لايدرك أبعادها الاّ من عاش تلك الفترة الزمنية الرهيبة ...

وفي هذه المرحلة لمع نجم المفكر العملاق السيد محمد باقر الصدر (رحمه الله)، الذي حمل اعباء مواجهة المذاهب الاجتماعية الاوربية بكل اسسها ومفاهيمها بجدارة مستفيداً من تجارب الماضين والمعاصرين له من المفكرين والفقهاء، ومضيفا الى ذلك من نتاجات عبقريته العملاقة التي تميزت بالقدرة على البلورة والعطاء وفهم خصائص العصر وأدواته ...

وهكذا وفّق هذا المفكر العملاق أن يواجه المادية في رؤاها العامة، ومرتكزاتها الاساسية في كتاب (فلسفتنا)، كما فعل في هجومه على البنية التحتية للفكر الماركسي واطروحة الديمقراطية الرأسمالية كما تجلى ذلك في كتاب (اقتصادنا)...

وبعد تفنيد الخصائص المذهبية للمدرسة الاشتراكية وخصائص المدرسة الرأسمالية الديمقراطية عمد الى بلورة المذهب الاقتصادي للاسلام من خلال بلورة قضية الملكية، والارض والتوزيع ودور السلطة في عملية توزيع الثروة، والمشكلة الاقتصادية والموقف من علاجها.

وهكذا وفّر المفكر الشهيد الصدر مفردات عصرية للخطاب الاسلامي، تحتفظ بأعلى درجات الاصالة، وتتسلح بأحدث وسائل المعاصرة، وقد تميزت نتاجات السيد الصدر (رحمه الله) بالمنهجية العلمية التي لم تتوفر عند أغلب المفكرين المسلمين المعاصرين، الذين يجنح اكثرهم الى الاسلوب الخطابي، والاستغراق في المنهجية الادبية، دون أن يعتمد نهجاً علمياً صارماً ـ كما وفق له سيدنا المفكر الكبير رضوان الله عليه.

ان هذا الخطاب الثقافي العملاق، الذي وفره السيد الشهيد الصدر (رحمه الله) للنهضة الاسلامية وللثقافة الاسلامية المعاصرة في

مضمونها المبلور المميز وفي أدواتها التعبيرية الكفوءة وفي منهجيتها العلمية العصرية الواثقة .. ان هذا الخطاب لم يشعر بقيمته الأ من عاش فترة الستينات في العراق ، حيث تلتهب الساحة يومذاك بصراع فكري رهيب بين أنصار الاشتراكية الماركسية والديمقراطية والقومية وقبالهم أنصار النهضة الاسلامية كلٌ بأدواته التي يملك .

ولم يكن للاسلاميين يومذاك سلاح فاعل ومضمون مبلور قبل ظهور (فلسفتنا واقتصادنا) لقد كان اقتصادنا وغيره بحق سيفاً ـ وأي سيف ـ شهره الاسلاميون العاملون ببسالة واثقة في وجوه انصار الفكر الوافد الرخيص .. ولعلي لا أبالغ اذا قلت : ان شطر ماحققناه من نصر فكري في الستينات كان بذلك الحسام الذي جرّده السيد الصدر (رحمه الله) من غمده ...

وهكذا ، فليس خيالاً مجنحاً ، ولا أماني عريضة أن ندعي ان منهجية السيد الصدر (رحمه الله) في نتاجه الفكري عموما والطريقة التي انتهجها لمواجهة الحركة الثقافية التغريبية في منحنياتها الاسلامية لم يألفها الخطاب الثقافي الاسلامي في المنطقة الاسلامية كلها ..

فلقد عبّرت نتاجاته الفكرية العملاقة عن عبقرية الثقافة الاسلامية وأصالتها وقدرتها على مواجهة الغزاة بطريقة لم تواجه بها " ثقافة " الرجل الابيض ! منذ جاست جحافله خلال الديار الاسلامية المقدسة ... وحيث اكتشف رجال الاصلاح في الامة منذ عقود من الزمان ان الهزيمة اكبر مما يتصور ، وان تيار الغزو الاوربي وامكاناته المتاحة اكبر بكثير من امكانات الامة المسلمة ، فلابد من مرحلة اعداد قبل المواجهة ولابد من بناء الامة داخليا ، ومدها بأسباب الفعل والقوة وهكذا اتجهت آليات الخطاب باتجاه البناء الداخلي لتوفير مقومات المواجهة الحقيقية وقد تناولت أساليب خطاب النهضة في هذه المرحلة مجموعة من الامور :ـ

ـ الوعي لملابسات المرحلة ، والظروف التي ألمت بعد سقوطها ضحية بيد الجزار .

ـ مواجهة الثقافة الاوربية بالثقافة الاسلامية بديلاً حضارياً .

ـ خلق تيار داخل الامة يتسلح بذلك الوعي وتلك الثقافة .

وفي مرحلة تمسك المصلحين المسلمين بهذه المحاور بعد تبلورها في أذهانهم في ضوء كفاحهم المرير من اجل استئناف مسيرة العودة الى الاسلام والحضارة الاسلامية .. في هذه المرحلة

لمع نجم المفكر الشهيد الصدر (قدس سره) وشمر عن ساعد الجد للمساهمة في حركة الخلاص. فما هي تصوراته لعملية التغيير الذي يتحقق فيه بناء الامة لكي ينجز مشروع الخلاص؟ وهذا التساؤل تحتاج الاجابة عليه الى معرفة نظرة السيد الشهيد الى حدود التخريب الحضاري الذي لحق بالامة والى اي مدى نجح الاوربيون الغزاة في النأي بالامة المسلمة عن الاسلام: آدابه وقوانينه واحكامه وعقائده.. يقول رحمه الله موضحاً مساحة التخريب الذي لحق بالامة من جراء الغزو الاوربي للعالم الاسلامي: «اخذ العالم الاسلامي ينفتح على حياة الانسان الاوربي يذعن لامامته الفكرية وقيادته لموكب الحضارة بدلا عن ايمانه برسالته الاصيلة وقيمومتها على الحياة البشرية»[٣]..

«وقد عبرت التبعية في العالم الاسلامي لتجربة الانسان الاوربي الرائد للحضارة الحديثة عن نفسها بأشكال ثلاثة مترتبة زمنيا ولاتزال هذه الاشكال الثلاثة متعاصرة في اجزاء مختلفة من العالم الاسلامي:ـ

الأول: التبعية السياسية التي تمثلت في ممارسة الشعوب الاوربية الراقية اقتصاديا حكم الشعوب المتخلفة بصورة مباشرة.

الثاني: التبعية الاقتصادية التي رافقت قيام كيانات حكومية مستقلة من الناحية السياسية في البلاد المختلفة وعبرت عن نفسها في فسح المجال للاقتصاد الاوربي لكي يلعب على مسرح تلك البلاد بأشكال مختلفة ويستثمر من موادها الاولية ويملأ فراغاتها برؤوس اموال اجنبية.

الثالث: التبعية في المنهج الذي مارسته تجارب عديدة في داخل العالم الاسلامي»[٤]، ويوضح مساحة هذا الانهيار امام الحضارة الاوربية بما يلي:ـ

«فقد استعمل الغزاة الاثمون كل الطرق والاساليب للقضاء على وعي الاسلام في ذهنية الامة، وحجب أضوائه، وانواره عنها بما نثروه هنا وهناك من مفاهيمهم وافكارهم وتشويهاتهم للاسلام المشرق العظيم وهكذا اصبحت الامة بعد ان نفّذ اعداؤها فيها مخططهم الفظيع وهي لاتعرف من الاسلام شيئا واضحا محددا او تعرف مازوره المستعمرون من افكاره وحقائقه..»[٥].. «الطريق طويل لأن ميوعة الامة التي انحدرت اليها وغرابة المعطيات الاسلامية اليوم على افكارها وعقولها التي تعودت الابتعاد عن الاسلام في واقع الحياة والاستعمار الغاشم الداهية الذي يقف للامة بالمرصاد والحضارة الغربية بكل حمائها ودعاتها حواجز في الطريق»[٦].

فمن خلال هذه المقاطع من احاديث

السيد الشهيد (قدس سره) وكتاباته تتجلى تصوراته العميقة لحجم المحنة الحضارية وآثارها في كيان الامة المسلمة نتيجةً للغزو الاوربي الذي تهاوت امامه السدود. ويمكننا ان نسجل تصوره للمأساة في النقاط التالية: ـ

١ ـ اذعان الانسان المسلم لإمامة الانسان الاوربي وقيمومته الفكرية والحضارية على حياة الامة.

٢ ـ تنازل المسلم عن قيادته للبشرية وشعوره بالضعة امام الانسان الاوربي واستلهامه من الحضارة الغازية بديلاً لحضارته الالهية العظيمة.

٣ ـ التبعية الذليلة للنفوذ الاوربي والقبول بسياسة النهب الاستعماري لثورات المسلمين باستثمار المواد الاولية وملء الفراغات الاقتصادية برؤوس اموال اجنبية اضافة الى اتباع سياسة اقتصادية استهلاكية خاصة.

٤ ـ غياب وعي الامة عن معرفة الاسلام وحقائقه واهدافه في اثارة الحياة وصنع المجد واقامة صروح الحضارة الالهية.

٥ ـ غرابة المعطيات الاسلامية عن الامة والتعود على الابتعاد عن مفاهيم الاسلام في الحياة، وقوة النفوذ الاستعماري وهيمنته في بلاد المسلمين اضافة الى قوة الحضارة الاوربية وتمتعها بالحماية من الاسياد والعملاء السياسيين والمفكرين تشكل جميعا حواجز في طريق النهضة الاسلامية المباركة.

وفي خضم هذا التحديد يتناول المفكر العظيم (قدس سره) دراسة الشروط الموضوعية لقيام اية نهضة حقيقية على ظهر هذا الكوكب ثم يحاكم هذه الشروط ويدرسها في ضوء واقع الامة المعاش، ويحدد ماتفتقر اليه هذه الامة في مشروع نهضتها المطلوبة.

ففي بحثه المعنون "الشروط الاساسية لنهضة الامة"[٧]، الذي كتبه مفتتحاً به اول عدد من مجلة الاضواء النجفية المباركة الذي صدر في التاسع من حزيران عام ١٩٦٠ م "اي قبل ثلاثين عاماً من الزمان" يسجل المفكر الشهيد (قدس سره) ثلاثة شروط لنهضة الامة الحقيقية هي: ـ

ـ المبدأ الصالح.

ـ الايمان بذلك المبدأ.

ـ وفهمه.

وبعد دراسة هذه الشروط في ضوء الواقع المعاش للامة يخلص المرجع الشهيد (قدس سره)، الى ان الامة تمتلك المبدأ الصالح المتمثل بالرسالة الاسلامية في قيمها ومبادئها وقوانينها وهي تؤمن بها وتقدسها، غير ان ايمان الامة برسالة الاسلام يعتريها الضعف والسطحية

والغموض ويعزو السيد الشهيد هذه الظواهر في طبيعة ايمان الامة برسالتها الى سوء فهمها إياها، وعدم ادراكها لحقائقها وغموض اهدافها.

ثم ينتهي رضوان اللّه عليه الى حقيقة ان الشرط الاساسي لنهضة هذه الامة منوط بفهمها واستيعابها لرسالة هذا الدين وحمله مبدأً ومفتاحاً تفتح به كنوز خير الدنيا والآخرة..

يقول (رحمه الله) «وأما فهم الامة للمبدإ ومفاهيمه وحقائقه، فقد كان هو نقطة الضعف التي نجحت فيها عملية الفصل بين الامة والمبدإ، فقد استعمل الغزاة الاثمون كل الطرق والاساليب للقضاء على وعي الاسلام في ذهنية الامة وحجب اضوائه وأنواره عنها بما نثروه هنا وهناك من مفاهيمهم وأفكارهم وتشويهاتهم للاسلام المشرق العظيم، وهكذا اصبحت الامة بعد أن نفذ أعداؤها فيها مخططهم الفظيع وهي لاتعرف من الاسلام شيئاً واضحاً محدداً أو تعرف مازوره المستعمرون من أفكاره وحقائقه، وبهذه الطريقة وُجِد التناقضُ العجيبُ في كيانها فأصبحت لاتفهم الاسلام فهما صحيحاً كاملاً بالرغم من انها ظلت باقية على ايمانها به، فمسألة الامة اليوم ـ وهي تملك المبدأ الصحيح وتؤمن به ـ ان تُقبِل على تفهم اسلامها ووعي حقائقه واستجلاء كنوزه الخالدة ليملأ الاسلام كيان الامة وأفكارها ويكون محركا حقيقيا لها، وقائداً أميناً الى نهضة حقيقية شاملة. فالفهم العام للمبدإ الاسلامي اذن هو الضرورة الذي تستكمل الامة به الشروط الاساسية لنهضتها»[٨].

لقد أدرك السيد الشهيد (رحمه الله) مكامن الخطر، وأمسك برأس الخيط الذي ينتهي بالمسلمين الى استئناف المسيرة، وذلك بأن يأتوا البيوت من أبوابها...

وهنا لسنا بصدد الحديث عن مشاريع السيد الصدر المختلفة الهادفة الى بلورة وسائل النهضة الجديدة، وانما يهمنا هنا فحسب الحديث عن حركته التجديدية في مجال الثقافة والفكر والقيم. لقد كان المفكر الشهيد (رحمه الله) يسعى جاهداً الى ان يبرز عبقرية الثقافة الاسلامية من خلال عبقرية المنهج وعبقرية الطرح..

لقد كانت الامة ـ خصوصاً في العراق ـ لاتعاني من عقدة تجاه المضمون الحقيقي للاسلام، الاّ انها كانت تعاني من مشكلة عدم عرض المضمون بأسلوب عصري يفهمه الناس، وهكذا شمّر المفكر الشهيد (رحمه الله) عن ساعد الجد ليعالج المشكلة من أساسها:

أ ـ فبدلاً من أن يتحدث ـ كما تتحدث به المصطلحات الفقهية مثلاً ـ عن آداب

التجارة، والبيع الفضولي، والخيارات، والمساقاة، والاجارة، وما اليها من معاملات مالية، اتجه رضوان اللّه تعالىٰ عليه، الىٰ اكتشاف المذهب الاقتصادي في هيكليته العامة، وفي اطر هذه الهيكلية.

ب ـ وبدلاً من أن يتحدث حول المعاملات المحرمة في التجارة مثلاً، يتجه الىٰ الحديث حول الحرية في الاقتصاد الاسلامي.

جـ ـ وبدلاً من الحديث حول البطالة، والفقر وحرمة الكسل عن كسب الرزق يدرس المشكلة الاقتصادية وكيف يعالجها الاسلام.

هذا، ويتجنب السيد الشهيد (قدس سره) بشكل كامل مصطلحات المذاهب الاخرىٰ، ويبرز المصطلح الاسلامي والمنهج الاسلامي والمضمون الاسلامي في ثوب مبارك جديد.

لقد حافظ المفكر الكبير علىٰ أصالة الشريعة بشكل كامل، مع التماس تجديدي يمتطي صهوة المعاصرة بأعلىٰ درجاتها وأرفع مستوياتها.

الهوامش

١ ـ المجتمع الاسلامي بين النظرية والتطبيق / البهي الخولي، اشتراكية الاسلام / الدكتور مصطفىٰ السباعي.

٢ ـ الاسلام بين الانصاف والجحود / الدكتور حسن عبد الغني حسن، ديمقراطية القومية / د. عبد اللّه العربي.

٣ و ٤ ـ مقدمة الطبعة الثانية لكتاب اقتصادنا / للسيد الشهيد (١) ص: ب.

٥ ـ مجلة الاضواء ع / س حزيران ١٩٦٠م

النجف الاشرف (موضوع رسالتنا ص ٢).

٦ ـ دروس من القرآن الكريم. دراسة للسيد الشهيد (٢) كتبها لمجلة الاضواء ص ٢ ع ٣ ونشرته المكتبة الاسلامية الكبرىٰ في طهران مع دراسات اخرىٰ تحت عنوان (دراسات قرآنية) للسيد الشهيد (٢).

٧ ـ (رسالتنا) مجلة الاضواء العدد الاول س ١ عام ١٩٦٠م.